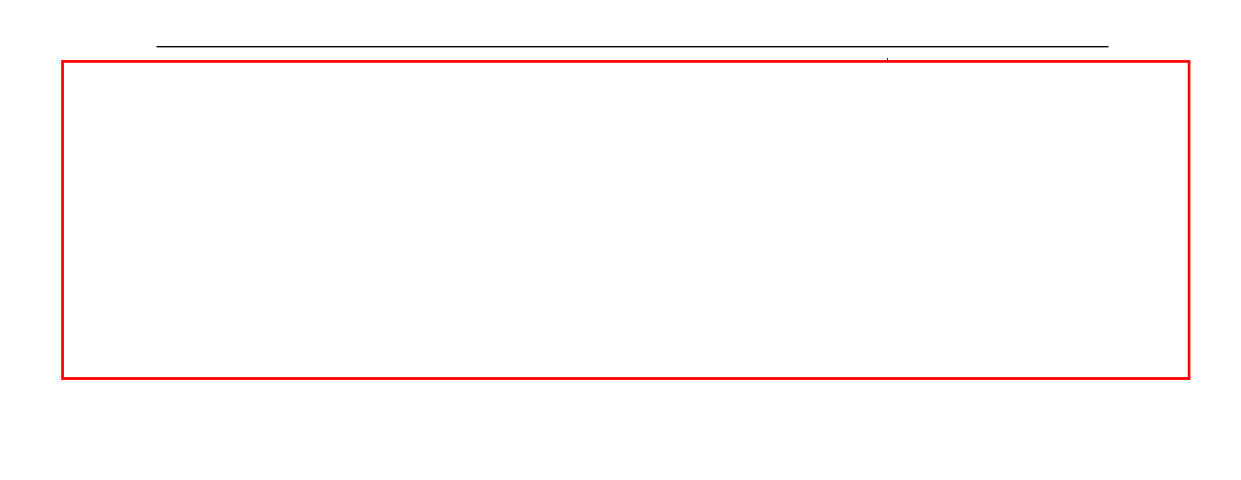


الديانة المسيحية وتطورها في غرب موريطانيا القيصرية
خلال القرنين الرابع والخامس ميلاديين

أ/ مضوي خالدية،

قسم التاريخ،

المركز الجامعي، معسكر.

Résumé

Le premier document relatif au christianisme africain ne remonte pas plus haut que l'année 180 de Notre ère : Ce sont les actes des martyres scillitains-du nom de leur cité Scilli, une petite bourgade , probablement située sur le haut cours de la Medjerda- daté du 17 juillet 180 .

Il n'est en fait pas de texte qui nous renseigne sur les origines des

africaines. On peut pensez, que Rome a eu une large part dans l'organisation du christianisme africain et d'abord à Carthage .Mais on constate aussi que les relations maritime avec l'orient très tôt christianisé ont pu jouer le rôle de vecteur .Il est aussi probable que la nouvelle religion a beaucoup bénéficié de l'implantation des communautés juives avant le compter parmi ses ennemi les plus résolus.

Au début du III siècle Tertullianus affirmait ,que l'évangile avait pénétré chez les maures. cependant pour la partie occidentale de la Maurétanie césarienne –pour l'Oranie actuelle-,il faut arrivée au début du IV siècle pour trouver des traces certaines du christianisme , sur une série d'épitaphes d'Altava (l'est de Tlemcen), dont la plus ancienne est daté de 302 (CILVIII 9862) ,le martyr Ianuarius fut donc victime de la persécution entreprise par l'empreur Déocletien .

Gsell(St) ,observe, d'après les inscriptions et les ruines ainsi que procès –verbaux des conférences de Carthage du V siècle (411,484), que le christianisme suivi en Oranie la pénétration de la civilisation romaine ,là ou en faisait quelque peu usage du latin.

1- ظهور المسيحية بشمال إفريقيا :

تعددت واختلفت الآراء حول تاريخ بداية ظهور المسيحية وانتشارها بشمال إفريقيا، بحيث يرجعها البعض إلى القرن الأول ميلادي إلى عهد الحواريين، ويؤرخ لها البعض الأخر بالقرن الثاني ميلادي وعلى رأسهم ميناج (Mesnage, J.P,1914,44) مدعما رأيه بنص أورده المؤرخ ابن خلدون في كتابه " تاريخ العبر" إذ يقول فيه " وعند علماء النصارى أن الذي بعث من الحوريين إلى روما بطرس و معه بولس،....... وإلى أرض إفريقيا فيلبس....... وإلى أرض برقة والبربر يشمعون القناني" (إبن خلدون،ع، 1966: 294)، والذي يرى فيه دليلا واضحا يشير إلى نجاح المبشرين المذكورين في جمع أتباع حولهما ساهموا في نشر المسحية في المنطقة، إلا أنه لا يمكن الأخذ بهذا الرأي لعدم توفر نص صريح يؤكد ذلك، بحيث يتضح من قول

ابن خلدون اكتفائه بذكر الحواريين الذين وصلا إلى المنطقة دون الإشارة إلى الدور الذي قاما به في هذا المجال هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن كتاب ميناج ظهر في فترة نشطت فيها الحركة التبشيرية التي كانت تسعى إلى نشر المسيحية بين الجزائريين، و لهذا لا يستبعد أن يكون ظهوره قصد خدمة حركة التبشير (منصوري، خ، 1986، 62).

يستند أصحا ب الرأي الثاني الذين يرجعون انتشار هذا الدين بشمال إفريقيا إلى القرن الثاني سواء إلى منتصفه مثلما ذهب إليه بريصون (Brisson,J.P,1948,35)، أو إلى فترة أسبق كما يرى برثيي (Berthier,A,1951,92)، على نص أول محاكمة والتي يعود تاريخها إلى 17 جويلية 180م، حيث أصدر البرو قنصل فيجيليوس ساتورنينوس (Vijellius Saturninus) في فترة حكم الإمبراطور كومودوس Commodus (176-192) حكما بالإعدام على اثنى عشر مسحيا في قرية سكليوم التي يعتقد أنها تقع قريبا من قرطاجة (Lancel,S,1984,1940).

يتضح مما سبق ذكره بأن الغموض ظل يلف انتشار المسحية في شمال إفريقيا خلال القرنين الأول والثاني ميلادي مما دفع بالبعض إلى وصف تاريخه بالصفحة البيضاء في تاريخ التنصر (Aube,B,1881,199). وكانت الطرق التي سلكتها المسيحية في الانتشار محل نقاش بين المختصين في الدراسات المسيحية، توصلوا من خلاله إلى أن ذلك مر بمرحلتين، الأولى تعرف فيها السكان علي هذا الدين عن طريق علاقاتهم التجارية بالمشرق ثم بروما، وكانت قرطاجة وسوسة وشرشال من أولى المدن التي تلقت الدعوة الجديدة التي نقلها إليها التجار القادمين من الساحل الفينيقي خاصة من بيت المقدس (Mesnage, P, 1914, 25) والإسكندرية (Poulet, D.Ch, 1932, 96)، أما المرحلة الثانية فتولت فيها الكنيسة الرومانية مهمة التبشير. ويجمع المؤرخون على أن التجمعات اليهودية كانت من أول من تعرف على المسيحية بهذه المنطقة وأن معابدها كانت من ضمن المراكز التي ساهمت في نشر هذا الدين غير أن اليهود ما لبثوا أن اختلفوا مع المسيحيين (Tertulianus,9).

2. ظهورها في غرب موريطانيا القيصرية(الغرب الجزائري) :

يرجع ظهور المسيحية في غرب موريطانيا القيصرية (شملت هذه المنطقة الأراضي الممتدة من الوادي الكبير شرقا إلى وادي ملوية غربا، وفي حوالي سنة 298م فصل عنه قسمها الشرقي مكونا موريطانيا السطيفية بحيث لم تتجاوز حدودها مصب وادي شلف) إلي بداية القرن الرابع ميلادي وفق ما تفيدنا به نقيشة جنزية (Willmans , C ; Mommsen, TH, 1881, CILVIII, 9862) مؤرخة في سنة 302م اكتشفت بأولاد ميمون (Altava)، تشير إلي مقتل إيا نياريوس (Ianuarius) أثناء حملة الاضطهاد التي باشرتها السلطة الرومانية في المدينة ضد معتنقي هذه الديانة بأمر من الإمبراطور دقلديانوس (Deocletianus).

لكن ينبغي الإشارة إلى أن دخول المسيحية في هذه المنطقة مسرح الأحداث في سنة 302 م لا يعني أن غرب موريطانيا القيصرية لم يعرف المسيحية قبل هذا التاريخ، إذ أن ارتفاع عدد المسيحيين دليل على وصوله في فترة أسبق ومن المحتمل منذ نهاية القرن الثالث ميلادي (Déjardins, V, 1947; Courtot, P1984, 546)، كما أن السلطة لم تضطهد المسيحيين إلا بعد أن أصبحت هذه الأخيرة تشكل قوة تهدد الجهاز السياسي وبالدرجة الأولى عبادة الإمبراطور، وبتالي يتجلى أن مقتل شهيد مدينة أولاد ميمون لم يتم إلا بعد مرور فترة زمنية من ظهور المسيحية، تمكنت خلالها من كسب مجموعة من الأنصار مستفيدة من الوضعية العامة التي عرفها هذا الدين بعد وفاة الإمبراطور فاليريانوس (253-268 م) .

لقد تمتع المسيحيون بعد وفاة هذا الإمبراطور بفترة سلم ووفاق مع السلطة الرومانية دامت أربعين عاما، توقف على إثرها الاضطهاد وتمكنت الكنيسة من استعادة نشاطها، كما أدركت السلطة السياسية في تلك الفترة الفائدة التي قد تجنيها إذا ما كسبت تأييد المسيحيين خاصة الأغنياء منهم ، وتنفيذا لهذه السياسة الجديدة أعفت هذه العناصر من عبادة الإمبراطور هادفة من وراء ذلك إلى استغلال مكانتهم لتأثير على باقي المسيحيين (جوليان، ش،1978: 286)، وأصبح المسيحيون بموجب ذلك التسامح يشكلون مجتمعا له قوانينه الخاصة والبعيدة عن تلك التي سنتها السلطة الرومانية، كما أتاح الفرصة للكنيسة المسيحية لمواصلة النشاط

التبشيري، لقد دفع هذا النظام بما أصبح يشكله من خطورة على أمن الدولة الرومانية الإمبراطور دقلديانوس (305.284) إلى تجديد الاضطهاد ضدهم .

3. عوامل انتشارها:

تكمن دوافع إقبال سكان غرب موريطانيا القيصرية على اعتناق المسيحية. وإن كان وصولها متأخرا بمقارنته مع المناطق الأخرى بسبب الاضطرابات والثورات التي عرفتها المنطقة. في:

1.الفراغ الروحي وفشل الديانة الرسمية الرومانية المتمثلة في عبادة الإمبراطور (عرفت هذه العبادة عدة تطورات إلى أن وصلت إلى المظهر الذي ظهرت به في القرن الثالث، فبتولي أكتافيوس أغسطس الحكم سنة27 ق م أصبح الإمبراطور يباشر مهام الحبر الأعظم ثم اصدر مجلس الشيوخ الروماني قرارا أصبح بموجبه ينظر إلى الإمبراطور بعد وفاته على أنه إله، أما في عهد سبتيموس سيفيروس فاحتل الإمبراطور هذه المكانة وهو لا يزال على قيد الحياة) وغموض وتعدد المعتقدات الوثنية التي لم تستطع تحقيق الوئام المدني (شنيتي، م.ب، 1984: 286)، وعلى الخلاف من ذلك، ظهرت تعاليم المسيحية الإنسانية التي تدعو إلى التكافل و التآزر الاجتماعي ونبذ التمايز الطبقي، وقد صور لنا ترتليانوس جانبا من علاقة المسيحيين يبعضهم بقوله "إننا موحدون ذهنيا وروحيا ولا نتردد في تقسيم ممتلكتنا بيننا ، فكل شيء مشترك بيننا ما عدا أزواجنا" (Tertulianus,1961, 39,19,11).

2. رغبة السكان في تحسين ظروفهم الاقتصادية الاجتماعية ولعل ما يؤكد ذلك وجود نسبة كبيرة من المعتنقين من الحرفيين والمزارعين الصغار وعبيد المدن والأرياف، غير أن وجود نسبة كبيرة من المسيحيين من البسطاء لا ينفي ما ذهب إليه ترتليانوس من أنهم كانوا من مختلف الفئات الاجتماعية (Tertulianus,1, 3,7)، بحيث اختلفت هذه العوامل باختلاف الشرائح الاجتماعية، فنظرا للمستوى المادي الجيد لبعض المسيحيين يبقى الدافع الاجتماعي لهؤلاء قليل الأهمية ويحتمل أن يكون الجانب الروحي هو الذي جلبهم إلى هذا الدين لاسيما وأن ثقافتهم تسمح لهم باستيعاب المسيحية (منصوري ،خ ،66، 1986).

3 ـ إن اعتناق المسيحية كان رد فعل سياسي يعكس الرغبة في التحرر من الاستعمار الروماني، حيث اعتبروا هذا الدين الوسيلة التي يعبرون بها عن معارضتهم للسلطة من خلال تخليهم عن عبادة الإمبراطور ويتضح ذلك من استمرار بعض المسيحيين في تأدية بعض الطقوس الوثنية كتقديم الأضاحي للإله ساتورنوس حتى القرن الثالث ميلادي (Tertulianus, 9 ; Mesnage, J.P, 212)، و سترسخ هذه الرؤية أكثر لديهم عشية الاعتراف بالمسيحية كديانة رسمية للإمبراطورية الرومانية في سنة 312 م، وما تبع ذلك من انقسام لكنيستها بين فريق موالي للسلطة تتزعمه الكنيسة الكاثوليكية وآخر معارض لها تمثله الكنيسة الدوناتية التي انضم إليها مسيحيو المنطقة، لاسيما بعد تحولها إلي حركة مناهضة للاحتلال الروماني والكنيسة المتحالفة معه منذ منتصف القرن الرابع ميلادي .

4. إن تنصر الإمبراطور قسطنطين في سنة 312م كان عاملا مشجعا على انتشار المسيحية ،حيث أن النبلاء من ذوي النفوذ في الدولة أخذوا يقتدون به ويعلنون اعتناقهم لهذا الدين، كما يعتبر عهده مرحلة جديدة في تاريخ العلاقة بين السلطة والكنيسة،حيث أوقف الاضطهاد الذي عانى منه المسيحيين وأصدر قرار ميلانو سنة 312م والذي أطلق فيه الحرية الدينية في الإمبراطورية (Monceaux, P, 1915, 170)، ومن أهم ما ورد في المرسوم "السماح باعتناق المسيحية، إلغاء كل القرارات السابقة التي صدرت ضد المسيحيين، إقرار حرية المعتقدات الدينية،السماح للمسيحيين بممارسة شعائرهم الدينية مع ضرورة إعادة الكنائس والممتلكات التي انتزعت منهم أثناء الاضطهاد" (Gaudmet,J,1993,397).

4. طرق ووسائل انتشارها :

يجمع المؤرخون أن المبشرين المسيحيين قد اتبعوا نفس الطريق الذي سلكه الرومان في احتلالهم لمدن غرب موريطانيا، حيث كانت أولى المناطق التي وصلوها مدن الشريط الساحلي ثم توغلوا باتجاه الداخل عبر ثلاثة طرق مستغلين في ذلك

انتشار اللغة اللاتينية بين سكانها (Cuoq, J, 1984, 101; Déjardins, V, 1947, 103)، و يؤكد هذا الرأي المعطيات الأثرية ونصوص قرارات المجامع الدينية، وهذه الطرق هي:

1. الطريق الساحلي الغربي الذي تتمركز به التجمعات القرطاجية والليبو - قرطاجية السابقة للاحتلال الروماني والتي انتشرت بها أسقفيتان خلال القرن الخامس ميلادي، إحداها في مدينة حنين (Gypsaria) والأخرى في كيزا (Quiza) ، كما اكتشفت بها نقوش مسيحية في وهران مؤرخة في النصف الثاني من القرن الرابع ميلادي 353 م (CIL,VIII,21660)، وفي بطيوة (Portus Magnus) وهي غير مؤرخة، يعتقد غزال أنها ترجع إلى بداية القرن الخامس ميلادي (Gsell,St,1927,18).

2 - علي امتداد الجزء الغربي من خط الليمس الأول (إن إرساء المراكز العسكرية على الحدود الجنوبية لمقاطعة موريطانيا القيصرية هو العمل الذي اصطلح على تسميته بالليمس الذي مر بمرحلتين كبيرتين، الأولي بدأت منذ أواخر القرن الأول في عهد الإمبراطور تراجانوس واستمر في عهد خلفه هارديانوس وامتد من زاري شرقا إلى تموشنت غربا، والمرحلة الثانية بدأت مع بداية القرن الثالث وبلغت فيها الحدود الرومانية أقصى امتدادها بالجنوب الموريطاني) بمحاذاة المراكز العسكرية القريبة من الساحل وعبر المحطات المنتشرة على شبكة الطرق الرابطة فيما بينها، لاسيما الطريق الذي يربط معسكري تمزوين (Lucu) والمحمدية (Castra Nova) ويمر عبر حمام بوحنيفية (Aquae Serenses) والقيطنة (CIL,VIII,21588) وحسين (CIL,VIII,9794) ، حيث ضمت هذه المناطق سبعة أسقفيات أشار إليها مجمع قرطاجة المنعقد في سنة 484م (Gsell,St,1927,24) وهي :أسقفية عين تموشنت (Albulae)، حمام بوحجر (Dracones)، أغبال (Regae) سيق، (Tasaccura)، المحمدية (Castra Nova)، غليزان (Mina) حمام بوحنيفية (Aquae Serenses) والتي تظهر على لائحة الأساقفة الحاضرين في مجمع قرطاجة وذلك منذ سنة 411م، يضاف إلى ذلك مجموعة معتبرة من النقوش بعضها مؤرخ في

القرن الرابع ميلادي 345 و352م (CIL,VIII,9193,21655)، وبعضها الآخر مؤرخ في القرن الخامس ميلادي 418 ـ493م (CIL,VIII,2160;9804 ;21570)

3 ـ على امتداد الجزء الغربي من خط الليمس الثاني الذي تقدمت فيه الحدود الرومانية بشكل محسوس باتجاه الجنوب بعد إرسائها لمراكز عسكرية في مغنية (Numerus Syrorum)، تلمسان (Pomeria)، أولاد ميمون (Altava)، سيدي علي بن يوب (Tapttasaccura)، تمزوين (Lucu)، البنيان (Ala Miliaria)، هنشير السويق (Cohors brocurum)، سيدي الحسني (Clumnata)، تيارت (شنيتي، م.ب، 218:1999)، حيث انتشر ت بهذه المناطق خمسة أسقفيات كان الأساقفة القائمين عليها حاضرون في مجمع قرطاجة في سنة 484م هي: أسقفية تلمسان (Pomeria)، أولاد ميمون (Altava)، سيدي الحسني (Clumnata) وأسقفية البنيان (Ala Miliaria) (Gsell, St, 1927, 26). زيادة على العدد الهائل من النقوش المسيحية من بينها تلك التي اكتشفت في كل من : أولاد ميمون 60 نقيشة مؤرخة في القرن الرابع والخامس ميلادي أقدمها ترجع إلي سنة 302م (CIL , VIII, 9862)، مغنية 18 نقيشة مؤرخة ما بين 344م و429م (CIL , VIII, 9968)، وبمشرع الصفا التي وجدت بها نقوش مؤرخة في النصف الثاني من القرن الرابع وأخري تعود للقرن الخامس ميلادي (CIL, VIII, 21521-21552)، بالإضافة إلى الشواهد المادية ككنيسة البنيان التي ترجع إلى القرن الخامس ميلادي (Gsell, St, 1899, 27) وبقايا الحجارة والتيجان التي نقشت عليها شعارات المسيحية والتي اكتشفت بخربة العويسات وفي سيدي الحسني والدحموني والروايح (Gsell, St, 1911, F32n129; Cadenat, P, 1979; 260)

5 ـ أثر أزمة الكنيسة المسيحية الإفريقية على كنائسها بغرب موريطانيا القيصرية:

يعتبر عهد الإمبراطور قسطنطين (366.306) قمة في الوفاق بين السلطة والكنيسة، حيث أعلن المسيحية عقيدة رسمية للدولة وهو قرار مهم لما انجر عنه من انعكاسات خطيرة، فرغم أنه رفع المسيحية إلى مقام الديانة الرسمية مع ما يترتب على ذلك من امتيازات هذا من ناحية، أما من ناحية أخرى فقد ألحق هذا القرار أعظم ضرر بالمسيحية إذا أن تبني الدولة لقضايا المسيحيين كان يرى فيه المتمسكون بمبادئ هذا الدين ضربا من محاولة إخضاعها وتدخلا في شؤون العقيدة وكان دناتوس (دوناتوس الأكواخ السود نسبة إلى إحدى مدن النوميدية المسماة بهذا الاسم، تاريخ ميلاده ووفاته مجهول، وإن رجح "مونصو" وفاته بعد محاكمته من طرف قسطنطين سنة313 م، يعتبر المؤسس الأول للحركة الدوناتية، وهناك أيضا دوناتوس الكبير الملقب بالقرطاجي ولد سنة 270 وتوفي سنة 355م يرجع إليه الفضل في تنظيم نشاط الحركة ونشرها ولم يفرق الكاثوليك والدوناتيين بين شخصية الرجلين فارتبطت الحركة بهما) من أكبر المعارضين للعمل وتحت هيمنة الإمبراطور ولو كان مسيحيا (منصوري،خ، 84، 1986).

قامت الأقلية المنشقة برفض هذا التحول الذي عرفته الكنيسة والتي بدأت تبتعد عن وظيفتها الدينية الروحية وتهتم بالشؤون المادية الدنيوية مما أدى إلى ظهور الكنيسة الدوناتية كنيسة منشقة عن الكنيسة الكاثوليكية على رأسها دوناتوس و يعود ظهورها أساسا إلى تمسك القائمين عليها بفكرة استقلالية الكنيسة عن السلطة ورفضهم مبادرة إخضاعها وتدجينها وتكييف المبادئ المسيحية مع حاجات السلطة، ولذا برزت كدين للفقراء و المستغلين في حين ظهرت الكاثوليكية كحليف للطبقة الأرستقراطية والسلطة الإمبراطورية وقد احتدم الصراع بين الطرفين سنة 315م واستمر حتى القرن الخامس ميلادي (Decret, F ; Fantar, M, 1981, 315-316) .

لقد كان نفوذ الكنيسة الدوناتية قويا في مدن غرب موريطانيا القيصرية، حيث أسسوا كنائس ومارسوا الدعوة إلى مذهبهم بكل حرية حتى بين الكاثوليك أنفسهم ولم يستطع هؤلاء منافستهم بسبب افتقارهم إلى دعم السلطة الرومانية التي اختفت منها منذ نهاية القرن الرابع ميلادي . وتؤكد لنا المعطيات الأثرية والنقوش

هذه الحقائق إذ تحولت مدنها إلى معاقل حقيقية لها خاصة البنيان (Gsell , St , 1899, 17-20) وحمام بوحنيفية بمعسكر وفي خربة العويسات بتيارت (Gsell, St, 1927, 21-22 ; Courtois, CHr , 1955, 92) أين عثر على أنقاض كنائس ونقوش تؤكد السيطرة المطلقة للدوناتيين على الأسقفيات ونشر الديني بها (أنظر الجدول رقم 1) .

لقد وثقت لنا النقوش أسماء العديد من الأساقفة والراهبات الذين ذهبوا ضحية ذلك الصراع بين الطرفين، حيث تشير نقيشة خربة العويسات إلى مقتل فليسيو (Filicio) في سنة 400م (Gsell, St , 1911, F32 n129)، كما تضمن سرداب كنيسة البنيان (Ala Miliaria) أقبية بها رفاة العديد منهم، وإن كان أشهرهم الراهبة روبا (Robba) شقيقة جرمانوس هونوراتوس (Germanus Honuratus) أسقف مدينة حمام بوحنيفية (Aquae Serenses) التي قتلت في 25 مارس 434م (CIL, VIII, 2052)، و يوليا جوليا (Iulia Geliolia) المتوفاة في 7 أكتوبر422م (CIL, VIII, 21570) وأخوها نيمسانوس (Nemssanus) أسقف مدينة البنيان (Ala Miliaria) الذي توفي في 22 ديسمبر من نفس السنة (CIL, VIII, 21570)، والأسقف دوناتوس (Donatus) الذي يرجح مقتله مابين 440 -446م (CIL, VIII, 21571; Gsell)، علاوة على عدد آخر من القساوسة المتوفين في تواريخ لاحقة وهم: فكتور (Victor) الذي قتل في 21 سبتمبر433 م، كريسكانس (Crescens) الذي توفي في 27 فيفري434م، ودوناتوس (Donatus) المتوفى في 11 مارس 446م (CIL, VIII, 21573; 21574; Gsell, St, 1899, 27).

إن هذه الشواهد تعتبر دليلا واضحا على استمرار المذهب الدوناتي وقوته وترسخه في غرب موريطانيا القيصرية حتى منتصف القرن الخامس ميلادي رغم ما لقيه أتباعه من قمع واضطهاد اعتقد الكاثوليك ومعهم السلطة الرومانية أنهم قضوا عليه نهائيا واقتلعوه من جذوره، لاسيما بعد قرارات الإدانة والاضطهاد التي سلطت على أنصاره من قبل الإمبراطور هونوريوس (Honorius) عقب مجمع قرطاجة 411 م، والتي قضت عليهم بتسليم كنائسهم ومنع ممارسة طقوسهم

وشعائرهم الدينية، غير أن هذا المذهب ظل قائما والتجأ أصحابه إلى السرية لاتقاء ملاحقة السلطات، كما قام رجال الدين بترسيخه أكثر ونشره بين السكان في انتظار فرصة مواتية للظهور، (Gsell, St, 1927, 20) تزامنت مع تغير الأوضاع السياسية في المنطقة بزوال السلطة الرومانية عشية الاحتلال الوندالي سنة 429م التي استغلها الدوناتيون لتحقيق مكاسب على حساب خصومهم، ولا يستبعد أن يكون الوندال قد ناصروهم ضد الكاثوليك باعتبارهم عدو مشترك لهم، إلا أنه على الرغم من ذلك، ليس هناك ما يدعو إلى الاعتقاد باستمرار هذا المذهب إلى ما بعد سنة 446م، ويدعم هذا الرأي النقوش التي تشير في هذه السنة إلى الأسقف الكاثوليكي الذي تولى تسير أسقفية البنيان (CIL, III, 21772)، ولعل ذلك يرجع إلى مساعي البابا ليونتيوس (Leontius) الذي استغل معاهدة السلم المبرمة بين الإمبراطور فالنتيانوس الثالث (ValentinianusIII) والملك الوندالي جنزريك (Genseric) في سنة 442م للإرجاع الصلة الدينية بين روما وكنائسها المنشقة خاصة في غرب موريطانيا القيصرية (Gsell, St, 1927, 22) .

6. تنظيم الجهاز الكنسي :

اتجهت الكنيسة المسيحية في شمال إفريقيا إلي تنظيم صفوفها لتقوية وجودها وتثبيت دعائم العقيدة الجديدة في النفوس وتأطير المؤمنين الجدد، وفي هذا المجال قسمت المنطقة إلى ستة مقاطعات كنسية هي إفريقية البروقنصلية (Africa Proncularus) وعاصمتها قرطاجة (Carthogo)، نوميديا (Numidia) وعاصمتها قسنطينة (Cirta) ، المزاق (Byzacena) وعاصمتها سبيطلة (Suffetulla)، طرابلس (Tripolitaria) وعاصمتها طرابلس (Tripolis)، موريطانيا الطنجية (Mauretania Tingitana) وعاصمتها طنجة (Tingis)، بالإضافة إلى المقاطعة الكنسية لموريطانيا القيصرية (Mauretania Caesarienses) وعاصمتها شرشال (Caesarea)، كما نظمت شؤونها وعينت القائمين عليها ضبطا للأمور وتحديدا للصلاحيات وتجنبا للخلافات التي قد تحدث حول الصلاحيات والمسؤوليات بين الأساقفة (Leclerq , D.H , 1904 , 241-246) .

ووضعت سلما للوظائف الإدارية الدينية وترتيبا لرجال الدين في مناصبهم وتحديدا لمهامهم، فأوجدت منصب رئيس الأساقفة (Prelatus)، وهو الرئيس الروحي ومقره العاصمة الدينية قرطاجة وإليه يرجع الأساقفة (Episcopus) في كل أمورهم، هؤلاء الذين نجدهم في

المدن يشرفون على أمور أتباعهم الدينية والدنيوية بها، ثم يليهم الآباء (Prespytes)، الذين يسهرون على أمور العبادة اليومية تنظيم الحفلات والأعياد الدينية، وهم في اتصال مستمر يتلقون منهم الاعترافات و الهدايا وأخيرا يأتي الشماسة (Dioconi) المكلفين بالقيام على شؤون الكنيسة من تنظيف وتزين وتزويد الكنيسة بكل ما تحتاجه (Aube, B , 1978, 164) .

أما في مدن غرب موريطانيا القيصرية فإنه ليس بحوزتنا معلومات مستوفية عن النظام التصاعدي الذي أقامته الكنيسة لرعاياها في المدن والأرياف باستثناء أسماء الأسقفيات وهوية و وظائف بعض القائمين عليها والتي تغطي فترة القرن الخامس ميلادي والتي نقسمها إلى مرحلتين هما:

1. أسماء الأساقفة الذين ورد ذكرهم قبيل نهاية الاحتلال الروماني مابين411 -429 م والتي تضم الأساقفة الذين حضروا إلى مجمع قرطاجة في سنة 411م وهم : الأسقف الكاثوليكي لكيزا (Quiza)، الأسقف الدوناتي لحمام بوحنيفية (Aquae Serenses)، الأسقفان الكاثوليكي والدوناتي ممثلان لكنيسة حنين (Gypsaria) ومن الذين تخلفوا عن الحضور نيمسانوس (Nemssanus) أسقف مدينة البنيان (Gsell, St, 1927, 19) .

2. أسماء و وظائف رجال الدين الذين أشارت إليهم النقوش وقرارات المجامع الدينية خلال الاحتلال الوندالي خاصة ما بين 429 -500م و نميز منهم ثلاثة مجموعات هي :

1. أعضاء الجهاز الكهنوتي في كنيسة البنيان فيما بين 422 و446 م وهم :

اسم و وظيفة المتوفى	تاريخ الوفاة	السن	الوضعية الدنية	المصدر
نيمسانوس Nemssanus أسقف	422-12-22 م	60	دوناتي	CILVIII21570
فيكتور Victor قس	433-09-21 م	52	دوناتي	CILVIII21574
دوناتوس Donatus أسقف	مابين 440 و 446 م	80	دوناتي	CILVIII21571
كريسكانسس	434-02-	55	دوناتي	CILVIII21573

			27 م	Crescens قس
Gsell(S),1899,27	دوناتي	60	-446-03 11 م	دوناتوس Donatus قس
Ibid,42	مجهولة	70	-429-11 30 م	ماوروس Maurus شماس
CILVIII21772	كاثوليكي	مجهول	بعد سنة 446 م	أسقف مجهول الاسم

جدول رقم1: الجهاز الكنسي لأسقفية البنيان في النصف الأول من القرن الخامس ميلادي

2. لائحة الأساقفة الإثنا عشر الذين حضروا إلى مجمع قرطاجة في الأول من فيفري 484م بدعوة من الملك الوندالي هونريك، ليتجادل فيه الأساقفة الكاثوليك مع نظرائهم الأريوسيين لإيجاد حل للمشكلة الدينية و ذلك لإخضاع ممثلي الكنيسة للسلطة الوندالية (Courtois, CHr , 1955, 9).

ترتيبه ضمن الأساقفة	الأسقفية	اسم الأسقف
43	تلمسان Pomeria	لونقينوس Longinus
33	Ala Miliaria البنيان	Mensius منسيوس
10	Altava أولاد ميمون	Avus أفوس
49	Mina غليزان	Caescilius كيكليوس
51	Regae أغبال	Victor فيكتور

فيلكس Filex	حمام بوحنيفية Aquae Serenses	66
فاوستوس Faustaus	الإسم الحالي مجهول Castra Severae	73
فيتاليس Vitalis	المحمدية Castra Nova	74
تاكانوس Tacanus	عين تموشنت Albulae	79
باوكاريوس Poequarius	سيق Tasaccura	108
مارتياليس Martialis	سيد الحسني Columnata	12
مادانوس Maddanus	حمام بوحجر Dracones	102

جدول رقم 2: أساقفة غرب موريطانيا القيصرية الحاضرين في مجمع قرطاجة سنة484م

3ـ مجموعة ثالثة تضم رجال الدين والإكليروس الذين لم تشملهم المجموعتين السابقتين وهم: هونوراتوس (Honoratus) الأسقف الدوناتي لكنيسة حمام بوحنيفية المتوفى سنة 434م (CIL,VIII,21574)، الأسقف دوناتوس (Donatus) الذي تشير إليه النقيشة غير المؤرخة لمغنية (CIL,VIII,9966)،أسقف كيزا فيتاليانوس (Vitalianus) الذي تذكره قطعة فسيفساء غير مؤرخة، القسيسان بونيفيكانوس (Bonificanus) المتوفى في تيارت إما في سنة 441م أوفي سنة 461م (CIL,VIII,9731) وكابساريوس (Capsarius) المتوفى في سنة 495م بأولاد ميمون (CIL, VIII, 21742)، وأخيرا مساعد الشماس لوكانيوس (Lucanius) الذي توفي في القيطنة في سنة 457م (CIL,VIII,21588) .

وخلاصة القول أن المسيحبة في غرب موريطانيا القيصرية يعد وصولها إلى المنطقة في بداية القرن الرابع ميلادي متأخرا، ويرجع سبب ذلك إلى الثورات والاضطرابات التي شهدتها المنطقة مما صعب انتشار ها، والذي سلك فيه المبشرين المسيحيين نفس الطريق الذي اتبعه الجيش الروماني في احتلاله لها، بحيث كانت أولى المناطق التي انتقلت إليها مدن الشريط الساحلي ثم تسربت باتجاه المناطق الداخلية، إلا أن انتشارها خلال القرنين

الرابع والخامس ميلادي انحصر بين السكان ذوي الثقافة اللاتينية وليس هناك ما يؤكد اعتناق السكان غير المورومنين من القبائل المورية لها.

المراجع:

أولا : المصادر:

1النصوص الأدبية:

1- Tertulianus, (1961) *Apologeticum* , Textes établie et traduit par Jean Pierre Waltzing avec La Collaboration de Albert Serveryns ,2 eme Edition. Paris , les Belles Lettres.

1. ابن خلدون (ع) 1966 ، كتاب العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،المجلد الثاني، بيروت، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر.

2-المعطيات الأثرية :

1- Gsell (St), (1911), *Atlas archéologique de l'Algérie* . Paris, Fontemoing et Cie
2- Id, (1899), *Les fouilles de Benian* .Paris, le Roux .

3. النقوش:

1- Cagnat(R),Schimidt (J), Dessau, (1904), *Corpus Inscriptionum Latinarum (=CIL) supplementum (Mauretanies).* Berlin .
2- Willmans,G ;Mommsen,1881 *Copus Inscriptionum Latinarum ,1881* TVIII,ed Willmans (G) et Mommsen(Th),Berlin.

ثانيا : المراجع

1. المراجع الفرنسية :

1-Aube (B), (1878), *Histoire des persécutions de l'église* .Paris
2-Bertier (A), 1951, *L'Algérie et son passé* .Paris, Editions Picard.
3-Brisson (J.P), 1948, *Gloire et misère de l'Afrique chrétienne.* Paris, Editions Laffont
4-Camps (G) ,1980, *Berbères aux marges de l'histoire* .Paris,Editionsdes Hesperids
5-Courtois (CHr), 1955, *Les vandales et l'Afrique* .Paris, Arts et métiers graphiques.
6-Cuoq (J), 1984, *L'église d'Afrique du Nord du II au XII siècle* .Editions du Centurion.
7-Decret (F), Fantar (M.H), 1981, *L'Afrique du Nord dans l'antiquité, des origins au V siècle.* Paris, Payot
8-Gaudmet (J) ,1993, *Les institutions dans l'antiquité.* Paris, Montchrestien.
9-Le clerc (D .H),(1904), *L'Afrique chrétienne,* T 1. Paris, Le coffre .
10-Mesnage(J.P), *Etude sur l'extension du christianisme chez les Berbères aux différentes époques*, sans date et lieu de publication.
11-Id, 1914 , *Le christianisme en Afrique , origines , développements ,extension* , Editions Picard.
12-Monceaux (L), 1901, *Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les Origines jusqu'à l'invasion arabe*, T1(Tertullien et les origines). Paris, Ie Roux.
13-Id,(1915),TIII (*Saint Optat et la polémique donatiste*).Paris ,Le Roux.
14-Poulet (D.CH), 1932, *Histoire du christianisme*,T1. Paris, Beauchesne .

2- المراجع العربية :

1. جوليان (ش)، 1978، تاريخ إفريقيا الشمالية من البدء إلى الفتح الإسلامي، تعريب المزالي (م)، سلامة(ب) الجزائر، الدار التونسية للنشر. الشركة الوطنية للتوزيع .

2. شنيتي (م. ب)، 1984، التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني، الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب.

3. شنيتي (م. ب)، الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، الجزء الأول،الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية

3. الرسائل الجامعية :

1 . منصوري (خ)، 1986-1987، الدوناتية وثورات القرن الرابع ميلادي بشمال إفريقيا، رسالة ماجستير في التاريخ القديم، جامعة وهران

ثالثا : المقالات

1-Cadenat (P), 1967, *Chapiteaux Tardifs du limes de Maurétanie Césarienne dans la région de Tiaret*, 14, pp260-274.

2-Courtot (P), 1984, « Altava », *Encyclopédie Berbère*, III. Aix en Province, Edisud, pp543-552.

3-Déjardins (V), 1947, « Les saint et les martyrs chrétiens en Oranie sous la domination romaine et vandale », *B.S.G.A.O*, 68-69, pp104-122 .

4-Gsell (St), 1927, « Le christianisme en Oranie avant la conquête arabe », *B.S.G.A.O*, 48, pp17-32.

5-Lancel (S), 1984, « Le christianisme », *Encyclopédie Berbère III* .Aix en Province , Edisud, pp1940-1951.